على هامش قضية العضوية في الحزب الشيوعي المصري

.... يتدفقون كمياه النيل

بعد ايام قليلة سوف تتوجه فرق من رجال الشرطة السريين والعلنيين لكي تلقى القبض على عدد من المناضلين الشرفاء عمالا وفلاحين وطلابا ونساء ادانتهم محكمة امن الدولة طبقا لقوانين منها سلطات الاحتلال .. واضاف السادات قوانين اخرى لهذه الترسانة العقيدة للحريات، التي تمثل كسيف تهديد دائم ضد كل الوطنيين.

تشهرها السلطة في وجوههم كلما اشتد عود الحركة الوطنية التقدمية ، فيتعقب المخبرون العيون الرجال والنساء النشيطين ليجعلوا منهم "عبرة" لكل اللامبالين ، الذين سرعان ما يحرمهم وقع النضال الوطني الى اتونه يخرجهم من لامبالاتهم لساحة الفعل والنضال.

منذ سنوات سبع لم يكد ينقض اسبوع واحد منها دون ان نلتقي في مكتب الاتهام قادمين من كل انحاء القاهرة لنستمع الى الادعاء والشهود يدافع عن انفسنا.

في احيان ليست قليلة كان بعضهم يأتي من السجون والمعتقلات بعد ان امتدت حالة الطوارئ عاما بعد عام، واصبحت القوانين الاستثنائية "طبيعية" ليسهل على السلطات اتهامهم "بالقانون" كلما ازدادوا نشاطا ونفوذا. وفيما بين الفضيحتين الكبيرتين للحزب الشيوعي المصري لفقت الامن لعدد منهم. كان من بينهم "صلاح عدلي" و"عبد المجيد احمد" "حبسات" متكررة بتهم شتى على هامش التهمة الرئيسية وهي عضوية الحزب الشيوعي المصري . كان الهدف دائما شل فاعليتهم ، تعطيلهم ارباك المنظمات والجبهات الديموقراطية التي نشطوا داخلها ..ارهاب الجماهير التي تمنع لهم وتلتف حولهم وتختارهم رضاها قادة لها توليهم ثقتها، تضع فيهم اسرار قوتها وتكشف لهم كل يوم عن مكامن ضعفها ، ثم تختبرهم في التجارب والازمات والمحن .. تلو التجارب والازمات والمحن . تنغمس في حياتها اليومية في السكك المطروقة التي تعرف الجماهير بخبرتها انها تفضي الى المزيد من البؤس. لكنها مع ذلك تجرب وهي تعرف عنهم — كل هذه السكك .. ويعرفون هم كمناضلين مدربين كيف يستعيدونها اليهم. كيف يتلمسون الطرق المعبدة بالاشواك والسطات .بالجوع والتشريد لكي يعلوا اليها من جديد كلما جربت الطرق الاخرى المسدودة يأسا واحباطا.

كانوا يأتون الى الجلسات وقد شدت ايديهم "بكلابشات" جديدة لامعة كتب عليها بانجليزية واضحة "صنع في الولايات المتحدة الامريكية" .. كنا نهزل ونقول لعلها جاءت ضمن المعونة وتتساءل بجدية هل هي معونة مشروطة يا ترى ام انها في بالذات جنبا الى جنب مع القنابل المسيلة للدموع والعصي الكهربائية لقهر المظاهرات وملاحقة المتظاهرين في معونة غير مشروطة..

كانت كلابشات الامريكيين الحديدية اللامعة التي تنطلق جيدا فهي لغة من التكنولوجيا تشد المناضل النقابي او الطلابي او الفلاح شدا الى اليد الهزيلة لجندي بائس من جنود الشرطة ، جندي سيء التغذية شاحب الوجه اغلقوا على رأسه وقلبه بمفتاح للتجهيل وللتضليل الامريكي الصنع محلي القسمات ، يكسوها روحه بذل الحاجة وقسوته يأخذون من الحاجة وقسوتها كان هؤلاء الجنود يتطلعون اليها داخلين . فما الذي يأتي بمثلنا الندية وسنات متعلمين الى قفص الاتهام جنبا الى جنب مع تجار المخدرات والقتلة وتجار العملات. وما ان يأخذ الجندي في توجيه الاسئلة وتلقي الاجابات .. ما ان تتحول الافواق الراكدة العمياء الى اخلة افواق العدل والرحمة والرأفة حتى يتعلق بنا وحتى نصبح اصدقاء حميمين يتطلع اليها بوجل في لحظات قصيرة مختلسة يتفتح الجندي هؤلاء البؤساء باب الحظ جديد.. وما اكثر ما ملأ المناضلون والمعذبون لهذه القضايا الجندي هؤلاء بالاثار المضحكة .. لا ينسى ابدا ذلك الجندي المجهول الذي سألني بعد حديث طويل ..

— هل صحيح يا ست هانم انكم تتزوجون من اخوتكم ؟

كيف يرانا الناس ؟

اتذكر ذلك الفتى الذكي المفعم بالحيوية والحياة الذي التقيت به في مناقشة لرسالة جامعية في الفلسفة جلس بجانبي وحين وجدني اسجل ملاحظات طويلة سألني ماذا اعمل فقلت :

— صحفية ؟

— اين ؟

— اكتب في جريدة الاهالي

— يا ساتر يا رب

× مهلا انا عضو ايضا في الحزب الذي يصدرها

— سياسية اذن ؟!

— جدا

— هذا لا يعني سوى الفقر والحصار والملاحقة وبما انني تعرضت لاشكال من الذلة والهوان لا استطيع وصفها لك اثناء فترة التجنيد حتى انني لا اريد مجرد تذكرها لذا لا اتصور نفسي سياسيا ابدا حتى يكون نصيبي من الحياة هو الفقر والملاحقة ان لم يكن السجن ووقف الحال .

لم اكن اثناء التجنيد قد فعلت شيئا سوى الاحتجاج الشخصي على الاذلال ، وكادوا ان يعصفوا بي فسجنت واهنت ووقفت اجازاتي ولولا ستر الله لكنت الان..

واكتشف الفتى انه افاض في الحديث الذي قطعه فجأة ليؤكد وجهة نظره مستشهدا بواحد من كبار كتاب الاعمدة اللامعين في مصر الذي قال ان العمل بالسياسة لا يؤدي الا الى الفقر والتعب.

× × ×

تذكرته يوم صدور الحكم وكان العنوان قد ضاع واردت ان اقول له لقد جاء بعض هؤلاء المناضلين من دراسة الفلسفة .. فماذا علمتك الفلسفة ؟ وجاء اخرون من فيض المشاعر فماذا تعلمت من فيض المشاعر ؟

لقد اكتشفوا ان مجرد اعدائها على الكادحين لن يؤدي الى شيء كما اختاروا الفلسفة التي تغير العالم ولا تكتفي بتفسيره فعرفوا طريق العمل المنظم الجماعي من اجل هذا التغيير .. من اجل الاشتراكية من اجل الملكية العامة.. من اجل النهوض الشامل لقوة الشعب .

وجاء اخرون من النضال النقابي الخالص حين اصطدموا بسقف هذا النضال الذي لا يؤدي الا الى الاصلاح الجزئي .. ولن يتغير الواقع بمجرد الاصلاح الجزئي .

وجاء اخرون من الطبقات المترفة حين تخلوا طواعية وبكامل الرضا عن حياة القصور ليتخرطوا في النضال العمالي لا ينتقلون طبقتهم فحسب وانما يعملون عملا دؤوبا من اجل تصفيه مصالحها وتحويلها الى الملكية العامة للكادحين .

ولم يكن الوعي وحده يرشد اولئك وهؤلاء انما استرشدوا كذلك بشعلة من القلب تتوهج ابدا بايمان عميق بمستقبل العمل ضد راس المال تخلوا عن الكثير من مباهج الحياة التي لقى اخرون العمر التماسا لها واشهدت روحهم بهجة من نوع جديد تفوق كل شيء اخر بهجة ان يروا فكرهم وجهدهم في صفوف الشعب يسعى في الارض ويسري ببطء الى قلبها .. تضرب جذور شجرهم العلية في اعماقها بعد ان تكاتفت كل قوى الاحتلال والعدوان والاستغلال والتخلف على استئصالها .. وحرمانه من ماء الحياة.. تضرب في الارض بعد اجتثاث فروعها مرات ومرات من على السطح.. لكنها تلك الشجرة الذكية التي تلتمس لنفسها المياه حيث يحاصرها الجفاف لتنمو بعرق الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والمثقفين الثوريين تلك الشجرة الفريدة التي سيفرع من ظلها الصبيان والبنات الذين يقودون ابائهم وامهاتهم الان رغم السن.. فلمن يا ترى علينا ان ننصت من بين هؤلاء ؟

فريدة النقاش

مبارك عبده فضل.. الشيخ الازهري الذي قادته بصيرة النوبي البسيط الى المعرفة العميقة بعد ان اكتشف الجوهر التقدمي للدين فاصبح مناضلا ماركسيا منذ الاربعينات ليقوده اختياره الشجاع من سجن لسجن ومن معتقل لمعتقل ولتزيده كل سنين السجن والاعتقال صلابة وبصيرة وقدرة بعد ان كان قد نسي عددها لكثرتها وشحبت ملامح الاماكن التي اختبأ فيها .وقسمات الاف الناس الطيبين الخيرين الذين حموه من ملاحقة السلطات وحتى الابناء الذين كان يتركهم صغارا وقد كبروا.

الشيخ مبارك عبده فضل جد تجاوز الستين يلاحقه البوليس الان لكي ينفذ حكما بثلاث سنوات من الحبس لانه يزدري "الحكومة" الذي لا يعرف احد حتى الان لماذا ينبغي على الناس ان يحترموها بعد ان اهدرت كرامتهم واعتدت على قوت يومهم دون مبالاة.

صابرين استشهد ابوها عشية تبادل السفراء بين مصر واسرائيل في حادث على الطريق الزراعي وكان مناضلا نشيطا منذ الاربعينات في صفوف الطبقة العاملة والكادحين من اجل وطن حر وشعب سعيد وقبل شهور قليلة من الحادث وقف خطيبا في جماهير حاشدة بمقر حزب التجمع يوجه تهمة الخيانة العظمى للسادات الذي سيسقط في مزبلة التاريخ يوما بعدان كان الرئيس السابق قد وقع اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح بين حكومة مصر واسرائيل واخذ يعلن صراحة انه سوف يمد مياه النيل الى اسرائيل ، وفتح باب الوطن على مصراعيه للاقاقين والمغامرين الدوليين والشركات المتعددة الجنسية وتقاضى نصيبه الخاص من الصفقات المشينة.. يقول الابنودي وقال لسمار الوطن

ليك حصة

وده يقوله كثير

وده يقوله اتوص

تالم زكي مراد كثيرا كما تالم الوطنيون جميعا ولكنه وهو ابن العمدة النوبي المتدفق حرارة وشجاعة وحياة . لم يركن الى الحزن سارع كعادته الى العمل .. العمل.. العمل تلك التعويذة التي يركن اليها المناضلون في الضيق كما في الانفراج.

مات زكي مراد بعد ايام وترك صابرين قبل ان تتم عامها الاول ، وها هي صابرين التي لم تبلغ السادسة تنتظر ان يخطفوا امها الى السجن لمدة عام بتهمة حيازة منشورات معدة للتوزيع تزدري نظام الحكم وتحض على كراهيته الحكومة.

وكانت فتحية سيد احمد قد انتزعت من بين ابنائها الاربعة فجر ٢٩ آذار ١٩٨١ ليقتادها السجانون وضباط المباحث الى القلعة متهمة بالانتماء الى الحزب الشيوعي المصري.. وكانت صابرين لم تبلغ العامين حينئذ . فيا للتجارب التي مرت بها طفلة كان مفروضا ان تغمرها السعادة ومباهج الطفولة.

× × ×

سوف يكبر الصبيان والبنات في الصلابة كما في الالم يعتادون غياب الاباء والامهات ويلتقون بمنات الاباء والامهات الاخرين غير الذين ولدوهم يعرفون مبكرا جدا في سنين اللعب والبهجة بالحياة والتكوين ان الطريق الذي يفتحه اهلوهم ويدفعون سنين العمر الجميل من اجل ان ينفتح حتى النهاية هو الطريق الذي شق بدايته في صخر الواقع المصري العنيد رواد كبار قدموا تضحياتهم الهائلة في صبر وتواضع فانشأوا النقابات وقادوا الاضرابات وتعرضوا للنفي والتشريد والجوع منذ بداية القرن لتجري مياه دافقة نقية في مجرى الحركة الوطنية المصرية جيلا بعد جيل.

ولكل من ياسمين صلاح عدلي التي ينتظر كل من ابيها وعمها سجنا لمدة عامين ، ولامل وهشام حسن بدوى اللذان سيسجن ايضا ابوهما وعمهما لمدة عامين.. ولمحب عريان نصيف .. وسمر ماجد الصاوى. وصابرين زكي مراد .. وعمرو عبد الفتح مواقي .. وو.. وعشرات من الاطفال والصبيان والبنات اقول. ان اجمل ايامنا لم تأت بعد.

- وسوف تاتي هذه الايام حين ينتصر الشعب ضد الامتثال والاذلال والهوان وتقولون حينئذ هذا بعض كفاح ابي وامي.. وحين يتوقف الصبيان والبنات الاخرون اللاهون في السعادة او اللاهون بسبب البؤس امام الالام التي افضت الى هذا الانتصار سوف تكونون انتم مثلا اعلى وقدوة .. وسوف تتدفقون كمياه النيل تملأوون الوادى شجرا وثمرا وافراحا للجميع . وحتى لو طال انتظاركم لهذا اليوم فان لكم شرف الاسهام في حفر الدروب الصعبة التي لا بد ان تفضي اليه.. كما يقول لنا تاريخ كل الشعوب.

فماذا بوسعكم ان تفعلوا ايها القراء الاعزاء ، ان شئتم ابعثوا برسائلكم الى هؤلاء المناضلين البواسل واسرهم.. وليكن تضامنكم سندا لهم ضد القوانين الجائرة التي تصادر حرية الناس وحقهم البسيط في التعبير والتنظيم حقهم في الدفاع عن الشعب وهو اعلى الحقوق جميعا.

اطلبوا الى رئيس الجمهورية ان يسقط الاحكام ويستخدم صلاحياته الدستورية لالغاء القوانين العقيدة للحريات التي حوكم بها وادين هؤلاء المناضلين .. الذين يستحقون اجلالنا..

— عن صحيفة "الاهالي" المصرية—

بلدان امريكا اللاتينية وعبء الدين الخارجي

تفيد البيانات الاخيرة التي اوردتها اللجنة الاقتصادية الامريكية اللاتينية وحوض الكاريبي التابعة للامم المتحدة عن عام ١٩٨٥ ان دين البرازيل يبلغ ١٠١٫٨ مليار دولار والمكسيك ٩٥٫٩ مليار دولار والارجنتين ٤٨ مليار دولار وفنزويلا ٣٤ مليار دولار وشيلي ٢٢ مليار دولار واوروغواى ٥٫٥ مليار دولار وبيرو ١٢٫٥ مليار دولار وكولومبيا ١٠٫٨ مليار دولار ودين كوستاريكا — وهي بلد صغير تعداد سكانه مليون نسمة — ٤٫٠٥ مليار دولار . ولا تعرف المنظمات الدولية والحكومات نفسها في حالات كثيرة حجم الدين بالكامل نظرا لوجود ديون خاصة غير مسجلة علاوة على الدين العام . وتدفع بعض البلدان مثل الارجنتين ، ٥٢ في المئة من عوائد صادراتها لتسديد اسعار الفائدة المترتبة على الدين وتدفع بوليفيا ٥٧ في المئة والمكسيك ٣٦٫٥ في المئة وبيرو ٣٥٫٥ في المئة والبرازيل ٣٦٫٥ في المئة وشيلي ٤٥٫٥ في المئة.

ويعتبر تخصيص ٢٠ في المئة من عوائد الصادرات لتسديد اقساط الدين الخارجي عبئا لا يطاق . ويعني ذلك ان اى بلد لا يستطيع ان يحقق التنمية في هذه الظروف ، كما يبرهن على ذلك اجمالي الناتج المحلي لبلدان امريكا اللاتينية الذى انخفض في الفترة الممتدة من ١٩٨١ الى ١٩٨٤ على النحو التالي

بنسبة ٢٤٫٦ في المئة في بوليفيا و ١٤٫١ في المئة في كوستاريكا و ١١٫٢ في المئة في شيلي و ٦٫٣ في المئة في المكسيك و ١١٫٨ في المئة في الارجنتين و ١٦٫٣ في المئة في فنزويلا و ١٦٫٢ في المئة في اوروغواى وفي فنزويلا لم ينخفض فقط اجمالي الناتج المحلي للفرد الواحد في الفترة من ١٩٨١ الى ١٩٨٤ بل انخفض طوال السنوات السبع الماضية بنسبة بلغت ٢٤ في المئة . وكان من اثار الازمة الاقتصادية والدين الخارجي في السنوات الاخيرة بصفة خاصة ان معدل انتاج البلد المعني للفرد الواحد لا يعاني من الركود فحسب بل وانخفض في حقيقة الامر. وتبذل بعض البلدان جهودا مضنية لمعالجة الوضع .

في عام ١٩٨٤ دفعت بلدان امريكا اللاتينية ٢٧٫٢ مليار دولار لتسديد الفوائد والارباح ويزيد هذا بحوالي ٣ مليارات دولار عما دفعته في عام ١٩٨٣ في حين انها لم تحصل الا على ما قيمته ١٠٫٦ مليار دولار من القروض والاستثمارات .

هل تقرر المكسيك وقف دفع الديون ؟

مباريات كاس العالم في المكسيك لم تمنع انفجار الازمة التي ادت الى استقالة وزير الاقتصاد المكسيكي "سيلفا هرزوج" . وقد جاءت استقالته على خلفية الديون الكبيرة التي يتوجب دفعها للدول الغربية والتي وصلت الى ٩٨ بليون دولار . فبينما يطالب رئيس المكسيك "ميجويل دى لا مدريد" بوقف دفع هذا الدين كما فعلت كل من الارجنتين والبرازيل ، فان وزير ماليته المقال كان يصر على الالتزام بدفع هذه الديون . ويشير المراقبون الى ان اقالة "هرزوج" يعتبر بمثابة لطمة للولايات المتحدة نظرا لعلاقات هذا الوزير الحميمة مع المسؤولين الاميركيين .